

بقلم مروان اسكندر

نختصر في هذا المقال سيرة خمس لبنانيين أرسوا مبادرات أفادت لبنان، ووفرت البرهان على قدرات وآفاق اللبنانيين، ولدى هؤلاء وغيرهم فضل على إضفاء صورة الحداثة والإنجاز على اللبنانيين.

نبدأ بآل يافت الذين هاجروا إلى البرازيل منذ أواخر القرن التاسع عشر وقبل انتهاء الحرب العالمية الأولى كانوا قد أصبحوا من كبار الصناعيين والتجار في البرازيل وعبرها إلى بقية العالم.

يذكر الرئيس كميل شمعون الذي زار البرازيل عام 1953 برفقة زوجته السيدة زلفا أن اللبنانيين المهاجرين إلى البرازيل كانوا قد حققوا نجاحات كبيرة سواء في عالم الصناعة، الزراعة والسياسة. ومن العائلات المميزة كان آل يافت أصحاب صناعات واسعة في مجال الألبسة ومزارع شاسعة، وقد أسرفوا في تكريم رئيس الجمهورية اللبنانية خلال زيارته إلى البرازيل، البلد الذي يستضيف عشرات آلاف اللبنانيين حينذاك، ويجب الذكر أن المجاعة حينما تسببت في وفاة 30% من اللبنانيين خلال سنوات الحرب العالمية الأولى دفعت آلاف اللبنانيين للهجرة، والبرازيل بضخامة معطياتها كانت تجذب اللبنانيين، وهذا ما اكتشفه الرئيس شمعون خلال زيارته.

عائلة ثابت مثلاً كانت تملك أكبر مزرعة في البرازيل، وقد زارها الرئيس شمعون وذهل بمساحتها وتنوع إنتاجها، وعند سؤاله عن مساحة المزرعة أبلغ أن مساحتها تفوق مساحة لبنان بالكيلومترات المربعة.

آل يافت استقطبوا اهتمام اللبنانيين خصوصاً بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، ونجح الأولياء على تطوير الجامعة الأميركية في بيروت بإقناع رئيس العائلة نعمت اليافت في التبرع بأكلاف إنجاز مبنى مكتبة الجامعة الأميركية.

أنجز البناء نتيجة تبرع نعمت اليافت لتشييد البناء وتجهيزه لتوفير خدمة توفر كتب المعرفة والعلوم لمختلف التلامذة، وقد حظي البعض من جيلنا بفرص اقتناص المعرفة في مكتبة الجامعة التي أنجزت بالحجر الأبيض وحسب مواصفات مدروسة لإنجاز مكتبة تخدم الجامعة وطلابها وكل من يريد العلم، فوفرت لهم الاستفادة من آلاف وآلاف الكتب المجهزة بشكل علمي، وهذه المكتبة الجامعية تُعتبر من أهم المعالم الحضارية في العالم العربي.

ولا تزال مكتبة الجامعة المسماة على اسم المتبرع بأكلافها ملاصقة تقريباً لمبنى مكتب رئيس الجامعة في المبنى الذي تهدم بعملية تلغيم في الثمانينات وأعيد بناؤه على صورته السابقة وبأحجار رملية لونها مائل إلى الاصفرار.

*شارل قرم

لا شك أن شارل قرم كان شخصية فريدة بذكائه وتوجهاته، وهو ابن أحد أهم الرسامين اللبنانيين في أوائل العشرينات، وكان شارل قرم من كبار المتحمسين للتاريخ اللبناني الذي أسهم في دفع اللبنانيين نحو تطوير اللغة العربية والتجارة البحرية والتعرف إلى حضارة البلدان الأخرى.

في أوائل العشرينات كان شارل قرم في زيارة للولايات المتحدة بمناسبة إقامة معرض دولي شارك فيه لبنان وبمساعدة مالية من شارل قرم الذي كان يُمارس التجارة والكتابة في الوقت ذاته وكل ما يتعلق بأهداب الحضارة، ولهذا السبب أنشأ «الندوة اللبنانية» التي أصبحت محطة لسماع آراء أصحاب الإنجاز في لبنان والمنطقة. خلال تواجده في نيويورك دهش شارل قرم بعدد السيارات، والتي كان أغلبها من نوع فورد موديل T الذي كان بمثابة سيارة شعبية قياساً على سعره وإمكاناته، فأراد التعرف على صاحب مصنع سيارات الفورد، أي هنري فورد المخترع والمليونير بعد أن اتقن فن تنسيق الإنتاج بإنجاز سلسلة متكاملة لعمليات التجميع.

بعد أن عرف شارل قرم من هو صاحب اختراع وتصنيع سيارات الفورد الشعبية أراد التعرف على الرجل فقصد مكتبه لمرات عديدة، وكانت معرفته بالإنجليزية محدودة فكان يستعمل الأطلس الدوار ليشير لسكرتيرة هنري فورد إلى أنه وافد من لبنان إلى نيويورك، ويعد مثابرتة على زيارة المكتب من دون التعرف إلى هنري فورد واكتسابه بعض المعرفة باللغة، يبدو أن هنري فورد تعجب من مثابرتة، فأوصى سكرتيرته بأن تستقبله وتفسح له مجال التعرف إلى هنري فورد، وهكذا كان، ومن غير المعروف أسباب إعجاب هنري فورد بشخصية شارل قرم، وبالتالي تكليفه بوكالة سيارات فورد في المنطقة وجرارات زراعية تصنع من قبل الشركة.

في لبنان وسع شارل قرم نشاطه وتوصل إلى تمثيل الشركة الأميركية في مصر وسوريا والأردن وفلسطين، وهناك صور متوافرة عن فرعه في فلسطين، ومن ثم أنجز مبنى ما زال قائماً مشابهاً لمبنى شركة كرايذر في نيويورك، وبدأ عملية تجميع سيارات فورد في أرض ابتاعها مقابل المتحف الوطني، والتي بنى فيها منزله، وبلغ عدد موظفيه في لبنان والخارج آلاف العمال والمدراء.

عام 1934 حينما بلغ سن الأربعين وبعد شهرة كتابه «الجبل الملهم»، قرر شارل قرم الاستقالة من العمل وتزوج من سيدة كانت انتخبت ملكة لجمال لبنان. ورغم انحراطه بمناخ الأعمال، وبسبب تأسيسه للندوة اللبنانية وتأثره بكتب الفلسفة المنجزة من كبار المؤلفين الألمان أصر على إرسال أبنائه للدراسة في ألمانيا، وهكذا اكتسب داوود، وحيرام ثقافة جامعية ألمانية، ولا شك أن كل منهما يتمتع بنبض والدهما وتفرد للمعرفة بعد النجاح في عالم الأعمال على نطاق إقليمي، وما زال اسمه راسخاً في ذاكرة اللبنانيين حتى اليوم.

*منير أبو حيدر

ينحدر منير أبو حيدر من عائلة متعددة الأبناء والصبايا، وكان والده طبيباً لطيفاً، ووالدته ذات شخصية قوية وانتساب لعائلة سياسية.

درس منير أبو حيدر في الجامعة الأميركية، كما فعل أشقاؤه، ومنهم نجيب أبو حيدر الذي تخرج كطبيب وممارس مهنته كما السياسة، وتولى وزارة التربية.

منير أبو حيدر كان تلميذاً عادياً لكن شخصيته كانت دائماً تدعو إلى الإعجاب فهو رياضي البنية، واسع الطموح، ولا يتقبل أي تحدٍ يقف في وجه طموحه ونجاحه.

عام 1952 بعد تخرجه من الجامعة وابتعاده عن الوظيفة استشعر حاجة العالم العربي لاعتماد الطيران لنقل الأطعمة والمعدات، وكانت بريطانيا تتوي بيع طائرات بأربع

محركات كانت تُستعمل في الحرب العالمية الثانية لنقل القنابل وإسقاطها على أهداف في ألمانيا وأحياناً في فرنسا بعد احتلالها من الألمان.

استدان منير مبلغاً بسيطاً لتغطية كلفة السفر إلى بريطانيا وشراء بدلة وكلفة الإقامة في فندق، وكانت آنذاك بسيطة، وأوضاع بريطانيا كانت على مقدار من التقشف.

توصل منير أبو حيدر للمشاركة على شراء الطائرات الحربية المستعملة، وحاز على طائرتين مع إعطائه فترة لتسديد السعر الذي كان بسيطاً. عاد إلى بيروت وسارع إلى عقد

اتفاق مع شركة ارامكو لنقل المأكولات لموظفيها من لبنان إلى السعودية، وكانت هذه بداية تشغيله الطائرتين، وبعد ذلك توصل إلى اتفاق مع شركة النفط البريطانية في إيران

لتأمين الخدمة ذاتها، وكانت تسانده في هذه العملية شقيقة الشاه.

لقد أصاب منير أبو حيدر في خياراته، وتوصل إلى أن يكون بين شركات الطيران الأولى التي ابتاعت طائرات نفائثة للشحن الجوي من طراز بوينغ، وبدأ بتسيير رحلات حول

العالم مع محطة في انكوراج في آلاسكا، وأصبحت لديه مكاتب تمثيلية في لندن وستوكهولم وسويسرا والولايات المتحدة واليابان والفلبين إلخ.. وهو أفسح فرصة اتقان هذه

الخدمة لعدد من الشباب ممن مثلوا الشركة في الشرق الأقصى والولايات المتحدة وسويسرا والسويد والبلدان العربية إلخ..